نساء الرسالات

إعداد

د. طلال بن محمد أبو النور

المشرف العام على مشروع تعظيم البلد الحرام

نساءُ الرسالات

إعداد

د. طلالُ بنُ محمد أبو النُّور

المشرفُ العامُّ على مشروعِ تعظيمِ البلدِ الحرام

ح مشروع تعظيم البلد الحرام، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبو النور، طلال محمد

نساء الرسالات. / طلال محمد أبو النور .مكة المكرمة، ١٤٣٨هـ

٥٥..ص؛ ..سم

ردمك: ٢-٢-٩٠٢٣٧-٦٠٣-٩٧٨

١- قصص الأنبياء ٢- المرأة في التاريخ أ. العنوان

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٣٨/٣٦٦٤

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٦٦٤

ردمك: ٢-٢-٩٠٢٣٧-٦٠٣-٩٧٨

صف الكتاب: محمود آل فتح

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

حقوق الطبع محفوظة لـ

جمعية مراكز الأحياء - مكة المكرمة

مشروع تعظيم البلد الحرام

مكة المكرمة - محضة الحمراء - ص.ب: ٥٧٥٧ -

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٢٩٠١٠١ - ماكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٩٠٢٠٢

www.makkah.org.sa

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحَمدُ للهِ الذي لا يُضيعُ عَمَلَ عاملٍ من ذَكَرٍ أوْ أُنثى.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبه وبعد:

فإنَّ في صحائفِ التاريخِ أمجادًا، وإن في سِجِلِّ الأيامِ فخارًا.

وبين أيدينا قطوفٌ من قَصَصِ نساءٍ عِشْنَ مع الأنبياءِ عليهم السلامُ، أثَّروا فيهنَّ وأَثَّرْنَ فيهم، تأثيرًا يُحسَبُ لهنَّ ويَرفع من درجاتهنّ.

فهَلُمِّي نفتحُ سِجِلَّ الأيامِ ونُقَلِّبُ صحائفَ التاريخِ حتى نَتعلَّمَ من سَيِّداتِنا اللاتي عِشْنَ في كَنَفِ الأنبياءِ، سَعِدْنَ بعِشْرتِهم، وسُرِرْنَ لِفرحِهم، وبَكَينَ لِهمِّهم، وتألَّمْنَ لألَمِهم(١).

﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

الكريمُ ... والمُكَرَّمُ

اللهُ الكريمُ سُبْحَانَهُ، أفاضَ من كَرَمِهِ على هذا الإنسانِ، فجعله مُكَرَّمًا، أي نفيسًا، مُكَرَّمَ الأصلِ.. مُكَرَّمَ الفرعِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء].

فهذا مَوقِعٌ عَلِيٌّ للإنسانِ في هذا الكونِ ... فحمْدًا وشُكرًا لكَ أيُّها الرَّبُّ الكريمُ.

العليمُ الخبيرُ يُخبرُ عن مَظاهِرِ التَّكريم

- **تكريمُ الأصلِ: آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**

في القرآنِ الكريمِ بيانٌ لمظاهِرِ تكريمِ أبينا آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنها:

- خلقَ اللهُ تَعَالَىٰ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيدِه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى مخاطبًا إبليسَ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص].

- نفخَ اللهُ تَعَالَى في آدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من رُوحِهِ سُبْحَانَهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى مخاطبًا الملائكةَ: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾[ص].

- أَسْجَدَ اللهُ تَعَالَى الملائكةَ لآدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تكريمًا وتشريفًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣﴾ [ص].

- اللهُ تَعَالَى هو الذي علَّمَ آدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الأسماءَ كُلَّها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

- أظهرَ اللهُ تَعَالَى شرَفَ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلمِ، أمامَ الملائكةِ.

قَالَ اللهُ سبحانه وتَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة].

- لَعَنَ اللهُ تَعَالَى إبليسَ وطرَدَهُ لامتناعِهِ عن السُّجودِ لآدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص].

- أسكَنَ اللهُ تَعَالَى آدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه الجَنَّة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾. [البقرة].

- اِستَخلَفَ اللهُ تَعَالَى آدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الأرض.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾. [البقرة].

بهذا ندرك أنَّ آدَمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أصلٌ يُشَرِّفُ من ينتمي إليه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ٧٠﴾ [الإسراء].

- **تكريمُ الفرعِ: بني آدمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

وفي القرآنِ الكريمِ بيانٌ لمظاهرِ تكريمِ اللهِ تَعَالَى **بني آدمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنها:

- إشعارُنا وتذكيرُنا بأننا أبناءُ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، المخلوقِ المُكَرَّمِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء].

- خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الأرضَ وما فيها لبني آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾. [البقرة].

- اِختصَّ اللهُ تَعَالَى آدمَ وَذُرِّيَّتَهُ باللِّباسِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾. [الأعراف].

- سخَّرَ اللهُ تَعَالَى لبني آدمَ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾. [لقمان].

- أنزلَ اللهُ تَعَالَى هُداهُ لبني آدمَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾.

- اِصطفى اللهُ تَعَالَى الرُّسُلَ والأنبياءَ من ذُرِّيَّةِ آدمَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾.

- مَيَّزَ اللهُ تَعَالَى بني آدمَ بالكلامِ وعَلَّمَهُم الْبَيَانَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾.

فهل وقفتِ يومًا لتأمُّلِ هذا التكريمِ؟

- **اعتراضٌ خَسيسٌ ؟!**

لأنَّه خبيثٌ؟!! تلوَّنَ بنجاسةِ الاعتراضِ على اللهِ تَعَالَى، وقَامَ به أصلُ الأخلاقِ المذمومَةِ كُلِّها.. الكبرُ والدَّناءَةُ؟!! واستحكمَ فيه داءُ الكبرِ؛ فَأَراهُ الباطلَ في صورةِ الحقِّ، والحقَّ في صورةِ الباطلِ، والمعروفَ في صورةِ المنكَرِ، والمنكَرَ في صورةِ المعروفِ؟!! **إِنَّهُ إبليسُ اللعينُ!!**

اِعترضَ إبليسُ على تكريمِ اللهِ تَعَالَى لأبينا آدمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ورَفَضَ السجودَ لآدمَ المُكَرَّمَ !!

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥﴾[ص].

فَمَنْ هذه حالُهُ؛ أَعَدُوٌّ أم صديقٌ؟!

- **أقصى الجُهدِ للإغواءِ.**

ما بقيتْ ذُرِّيَّةُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأرضِ؛ فإبليسُ ساعٍ بكلِّ جهدِهِ لإغوائِها!

قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخبرًا عن تَرَصُّدِ إبليسَ لبني آدمَ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف].

فإبليسُ حاضرٌ باستمرارٍ، جاهزٌ باستمرارٍ، عَتيدٌ باستمرارٍ، لا يعرف كَلَلًا ولا مَلَلًا، ينتظرُ منكِ الغفلَة، وينتظرُ الفرصةَ المُواتيةَ، لينقُلَ الإنسانَ من التَّكريمِ إلى اللُؤْمِ !!

والنتيجةُ التي يقصِدُها عَدوُّنا: ألَّا نكونَ شاكرينَ لِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى علينا .. فهل نعي؟!!

١. تمكينٌ لمواجهةِ الخَصْمِ.

الحكيمُ سُبْحَانَهُ، والعليمُ سُبْحَانَهُ، والقديرُ سُبْحَانَهُ، والرحيمُ سُبْحَانَهُ، لم يُنزِلْ عبدَهُ المُكَرَّمَ وَذُرِّيَّتَهُ بدونِ سلاحٍ لمواجهةِ عدوِّهم، فَلِأَجْلِ أن نَظَلَّ كُرماءَ؛ أنزَلَ اللهُ تَعَالَى للنَّاسِ هُداهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾. [طه].

ومن اتَّبَعَ هُدى اللهِ تَعَالَى لا يكونُ لإبليسَ عليه طريقٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى مخاطبًا إبليسَ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾. [الإسراء].

٢. جُندُ الرحمنِ ... وجُندُ إبليسَ.

إنَّ حَلْبَةَ الصِّراعِ بينَ بني آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإبليسَ قَسَّمَت الناسَ إلى قسمين: مؤمنٍ وكافرٍ، مهتدٍ وضالٍّ، وشقيٍّ وسعيدٍ، وجُندِ الرَّحمنِ وجُندِ الشَّيْطان.

قَالَ اللهُ تَعَالَى عن جُندِهِ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عن جُندِ إبليسَ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾. [الشعراء].

نساءُ الرسالاتِ .. نموذجٌ مُشرِقٌ لجُندِ الرَّحمن.

أمُّ البَشَرِيَّة

- أوَّلُ شريكةٍ للرَّجُلِ في الحياة.

حَوَّاءُ زوجةُ أبينا آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لتكونَ سَكَنًا لهُ وأُنْسًا. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الأعراف].

- أمُّنا حَوَّاءُ.

"حَوَّاءُ" سُمِّيتْ بذلكَ لأنَّها أمُّ كلِّ حيٍّ[1] مِن بَني آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/٢١١).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

- أوَّلُ ساكنةٍ في الجَنَّةِ.

حَوَّاءُ سكنت الجَنَّةَ معَ زوجِها آدمَ عليهما السلامُ، **فهما أوَّلُ من أبصرَ الجَنَّة من البشرِ.** قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة].

- دارٌ طيِّبَةٌ

جمعتِ الجَنَّةُ التي سَكَنَتْها أمُّنا حَوَّاءُ معَ أبينا آدمَ مُقوماتٍ أربع، هي: العيشُ الطيبُ، والشرابُ، والسِّتْرُ، والمسكَنُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه].

فاللباسُ السَّاتِرُ؛ حُكْمٌ إلهيٌّ مُباشرٌ، صَدَرَ مِنْ أعلى سُلْطَةٍ في هذا الوجودِ: مِنَ اللهِ ربِّ العالمين، خالقِ الأكوانِ أجمعينَ. وقد صَدَرَ معَ اللحَظاتِ الأولى لِوُجُودِ الجنسِ البشريّ، **فكانَ لِباسُ الجَنَّةِ رَمْزًا للرِّضا الإلهيِّ، وكانَ العُرْيُ رَمْزًا للتَّمَرُّدِ على الخالقِ جلَّ وَعَلا.**

- المَشروعُ الإبليسيُّ الأوَّلُ.

نزْعُ اللباسِ وإظهارُ العوراتِ هو مشروعُ إبليسَ الأوَّلُ. وقد ابتدأَ بهِ مع أُمِّنا حَوَّاءَ وأبينا آدمَ وهُما في الجَنَّةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف].

وليسَ أبعدُ في المنكرِ والخِزْيِ مِنْ أنْ يَتعَرَّى الإنسَانُ ويَكشِفَ عن عَورَتِهِ على مَلأٍ من النَّاسِ!!

- سِرُّ الحياةِ.. توبَةٌ بعدَ ذَنْبٍ:

اِعترفت أمُّنا حَوَّاءُ وأبونا آدمُ بخطئِهما. فالأبوانِ أَوَّلُ منِ اعترفَ بذنبِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

فالافْتِقارُ إلى اللهِ تَعَالَى، والإنابةُ إليهِ، والاسْتِكانَةُ، والاعترافُ بالخطأِ؛ هذا سِرٌّ من الأسرارِ؛ وما سَرَى في أحدٍ من ذُرِّيَّة آدمَ إلَّا كانتْ عاقِبَتُهُ إلى خيرٍ في دنياهُ وآخرتِهِ.

- الحياءُ والسِّتْرُ فِطْرَةٌ.. والتَّعرِّي انتكاسٌ.

بدتِ السَّوْءاتُ، فبادَرَ الأبوانِ إلى سَترِها حياءً بدونِ سابِقِ تعليمٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ فدلَّ على

أنَّ سَتْرَ العوراتِ وحِفْظَها هوَ من خُلُقِ الأبوينِ الكريمينِ عليهما السَّلامُ، فُطِرا عليهِ. وأنَّ التكَشُّفَ والتَّعَرِّيَ مِن حِيَلِ الشَّيْطان الرَّجيمِ وَوَسْوَسَتِهِ وَكَيدِهِ بالإنسانِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف].

وهنا يبدو الشَّيْطان في هيئةِ ناصحٍ! ومنذُ متى كانَ الشَّيْطان ناصحًا؟

- الفِراقُ المُؤلِمُ

إنَّ مُخالفةَ الحقِّ وقَبولَ وَسْوَسَةِ الخَصْمِ هيَ مُتْعَةُ ساعةٍ! لكنَّها أنتجتْ ألمًا وحِرْمانًا! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف].

فأُخرِجَ الأبوانُ من الجَنَّةِ وفارقاها.

- اللباسُ أَوَّلُ مظاهرِ حَضارَةِ بني آدَمَ.

في سياقٍ متصلٍ بقصَّةِ فتنةِ الشَّيْطانِ لآدمَ وزوجِهِ؛ اِمتَنَّ اللهُ تَعَالَى بإنزالِ اللّباسِ من عندِه سُبْحَانَهُ، سواءٌ باعتبارِ ما كانَ على آدمَ وحَوَّاءَ من لِباسِ الجَنَّةِ، أو بِما أَلْهَمَ النفوسَ لِطَلَبِهِ وتيسيرِ الحُصولِ عليه، وبيَّنَ أنَّ **السِّتْر أعظمُ غاياتِ إنزالِ اللباسِ**، فَعُلِمَ بتشريفِ مظهرِ السِّتْر باللِّباسِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾. [الأعراف].

وفي النداءِ بـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بعدَ الإخبارِ بما لَقِيَ الأَبوانِ من وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ؛ تحفيزٌ لِلذُّرِّيَّةِ أنْ تَثْأَرَ لآبائِها، وتُعادِيَ عدوَّهم، وتَحترِسَ من الوقوعِ في شَرَكِهِ.

- مَعَالِمُ رِحلةِ العَودةِ إلى الجَنَّةِ تُعلَنُ للبشريَّةِ من صعيدِ عَرَفَةَ.

تَرْكُ الحقِّ والتعرِّي سببُ الخروجِ من الجَنَّةِ، والتوبةُ الصادقةُ سببُ إعطاءِ فرصةٍ وحيدةٍ وأخيرةٍ للعَودةِ إلى الجَنَّةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه].

وهو خطابٌ لآدمَ وحَوَّاءَ، وإعلامٌ أنَّ هُدَى اللهِ تَعَالَى هوَ للذكورِ والإناثِ على السَّواءِ، وأنَّ طريق الجَنَّة معروضٌ عليهما.

وعلى أرضِ عَرَفَةَ.. نُشِرَتِ البشريةُ كلُّها بينَ يدَي الأبِ آدَمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وبحضورِ الأُمِّ حَوَّاءَ.

وقد بيَّن اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى للجميعِ طريقَ العَودةِ إلى الجَنَّةِ، وأخَذَ العهدَ من الجميعِ على لُزومِ الحقِّ.

عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيّ ﷺ أنه قَالَ: «**أخذَ اللهُ الميثاقَ من ظهرِ آدمَ بنَعمانَ -يعني عَرَفَة- فأخرجَ من صُلْبِ آدمَ كلَّ ذُرِّيَّة ذرَأَها، فَنَثَرَهم بين يديهِ كالذَّرِّ، ثم كلَّمَهم قِبَلًا**. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف].[1]

- ما كان سببًا للخروج لن يكونَ سببًا للدخولِ.

بسببِ العُرْيِ؛ خرجَ الأبوانِ من الجَنَّة. فَفِعْلُه في الدنيا لن يكونَ طريقًا للعَودةِ إلى الجَنَّة!

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٧٢)، والحاكم (٢/٥٩٣) وصححه، ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (١٦٢٣).

وقد حذَّرَنا ربُّنا عَزَّ وَجَلَّ من العُرْيِ، وحذَّرَنا منه نبيُّنا محمدٌ ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾. [الأعراف].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا؛ قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَايَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»**(١).

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٨٠).

فانكِشافُ السَّوْأَةِ من أعظَمِ الفظائِعِ، والشَّيْطانُ مُهتَمٌّ بكشفِ سَوْأَةِ ابن آدمَ، لأَنَّه يَسُرُّه أن يراهُ في حالةِ سُوءٍ وفظاعةٍ.

- معالِمُ طريقِ العَودةِ إلى الجَنَّةِ:

١) اتِّباعُ هُدَى اللهِ تَعَالَى.

٢) الحفاظُ على الحياءِ والعفافِ والسِّتْرِ.

٣) مُعاداةُ إبليسَ وعدمُ الإصغاءِ لوَسْوَسَتِهِ عُمومًا، وفي مسألَةِ العفافِ، والسِّتْرِ خاصَّة.

٤) التَّوبةُ السَّريعةُ عندَ الخطأِ وعندَ الوقوعِ في شِباكِ إبليس.

٥) شُكْرُ اللهِ تَعَالَى على نِعَمِهِ عُمومًا، وعلى نِعْمَةِ اللِّباسِ السَّاتِرِ للعَوراتِ، ونِعْمَةِ لباسِ الزِّينَةِ خُصوصًا.

الصِّدّيقةُ[١] الـمُهاجرة

- زوجةُ الخليلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

سارةُ بنتُ هارانَ؛ بنتُ عَمِّ الخليل إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، تزوَّجها إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو بأرضِ بابلَ، **وأحبَّها لِدينِها، وقرابتِها مِنه، وحُسْنِها البَاهِرِ.** قَالَ ابنُ كثيرٍ: قيلَ إنَّه لم تكنِ امْرأةٌ بعدَ حَوَّاءَ إلى زمانِها أحسنَ منها، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[٢].

- نِعم الزَّوْجةُ المؤمنةُ سارةُ:

- آمنتْ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) قالَ ابنُ كثير رحمه اللهُ: "وقد ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى نُبُوَّةِ ثلاث نِسْوَةٍ: سارة، وأمِّ موسى، ومريمَ، عليهنَّ السّلام. والذي عليه الجمهور أنهن صِدِّيقاتُ، رضي اللهُ عنهنَّ وأرضاهنَّ. قَصَصُ الأنبياءِ (١٠٠).

(٢) قَصَصُ الأنبياءِ (١٠١).

- وصدَّقتْ برسالةِ الخليلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.
- وصبرت معَ زوجِها زمَنَ مُناظرتِه لقومِه، وزمنَ إلقائِهِ في النَّارِ.
- وكانتِ المؤمنةَ الوحيدةَ من قومِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أرضِ بابلَ، يشاركُها في الإيمانِ لوطٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- هجرة في رِفْقَةِ نَبِيَّيْنِ.

وحينَ لم يبقَ للخليلِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَبولٌ بأرضِ بابلَ؛ هجرَ قومَه وخرجَ مهاجرًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾ [العنكبوت].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ تَعَالَىٰ: "المشهورُ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لَمَّا هَاجرَ "من بابلَ" خرج بـ "سارة"، مُهاجرًا

من بلاده[١]. فكانت سارةُ المهاجرةُ ثالثَ ثلاثةٍ، وهم: الخليلُ إبراهيمُ، ولوطٌ، عليهما السَّلامُ، وَهِيَ.

- ردَّ اللهُ تَعَالَى كيدَ الكافرِ في نحرِهِ.

تعرَّضتْ سارةُ معَ زوجِها الخليلِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **لابتلاءِ هَتْكِ العِرْضِ قَسْرًا**؛ ولم يكن طريقٌ للنجاةِ إلَّا الاستعانةُ باللهِ العظيمِ. فالمُعتدي مَلِكٌ جبَّارٌ. فقامت سارةُ لوضوئها وصلاتِها، **وتقرَّبت لربِّها بأرجى أعمالها؛ بإيمانِها بربِّها وعفافِها،** فجاءَها مَدَدُ السَّماءِ، فَلَمْ يُخدشْ لها حَياءٌ، وَرَدَّ اللهُ تَعَالَى كَيْدَ الكافرِ في نحرِهِ، ووهَبَها خادمةً!!

استمعي إلى أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يروي لكِ القِصَّةَ :

روى البخاريُّ في صحيحِهِ بِسَنَدِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَاجَرَ[٢] إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

---

(١) قَصَصُ الأنبياءِ (٩٨).

(٢) سافَرَ.

بِسَارَةَ[١]، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ[٢] مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ[٣]، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لاَ تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي[٤]، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ[٥] مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا[٦]، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلاَ

---

(١) زوجته رضي الله عنها.

(٢) ملكٌ ظالمٌ باغٍ.

(٣) وسيدُنا يوسفُ عليه السلام حفيدُها، وقد آتاه اللهُ شَطْرَ الحُسْنِ.

(٤) ولم يقل له زوجتي لأنه ربما يقتله ويتخلص منه، ويأخذ هاجر. وقد قال لها إبراهيمُ عليه السلام: إنك أختي في الإسلام.

(٥) أي: ليسَ على الأَرضِ مؤمِنٌ غيري وغيرُك.

(٦) ذهب يتناولها بيده.

تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ[١] حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ[٢]"، قَالَ الأَعْرَجُ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: " قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالَ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ[٣] ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ "، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالَ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، ارْجِعُوهَا إِلَى

---

(١) كأنَّ أحدًا خَنَقَهُ حتى ضاقَ نَفَسُهُ وكادَ يختنق.

(٢) حركها وضربها على الأرض.

(٣) نجا من الموت، بعد أن قال لها: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له.

إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ[١] فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ[٢] الكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً[٣]»[٤].

- ضِحكةُ الاستبشارِ.

جاءتِ الملائكةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هَيئَةِ بَشَرٍ، ولم يُعلِموه بحقيقةِ أمرِهم، وقَرَّبَ الخليلُ إبراهيمُ لهم الطعامَ، وقَعَدَ معَ الضِّيفانِ، وسارةُ قائمةٌ لخدمتِهم، ولكنَّ أيديَهم لم تقترب من طعامِ الخليلِ، فأَوْجَسَ في نفسِهِ خِيفةً، فأعلموه بحقيقةِ أمرِهم، ومقصودِ قُدومِهم؛ وأنَّه هلاكُ قومِ لوطٍ المجرمينَ.

فاستبشرت الصِّدِّيقَةُ سارةُ غَضَبًا للهِ تَعَالَى عليهم، وأظهرتْ فَرَحَهَا فضحِكَتْ، فسُطِّرَتْ فرحَتُها تلكَ قُرآنًا يُتْلى إلى يومِ

---

(١) هي هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

(٢) أذله الله وأخزاه ورده خاسئًا.

(٣) أعطاها جاريةً تخدمها.

(٤) رواه البخاري (٣/ ٨٠).

القيامةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود].

إنَّها ضِحْكَةُ الاستبشارِ بنصْرِ اللهِ تَعَالَى المؤمنينَ، وانتقامِهِ من القومِ الظالمين.

- إيمانٌ وعفافٌ أثمر رحمةً وبركةً وولدًا وحفيدًا.

الأمومةُ فِطْرَةُ اللهِ في المرأةِ. وقد تَعَلَّقَ قلبُ سارةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بحُبِّ الولدِ، ولمَّا كانت عجوزًا عقيمًا وكانَ زوجُها شيخًا كبيرًا؛ قيلَ: كانَ قد بلَغَ من العمُرِ سِتًا وثمانينَ سنةً، وهي قد جاوزت السبعينَ، فأنَّى لها بالولدِ، لكنها كانت مؤمنةً صادقةً عفيفةً.

وكانَ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد دعا اللهَ أن يَهَبَ له ولدًا من الصالحينَ، فأُخِّرَت الدعوةُ حتى كَبُرَ. وجاءتهم الملائكةُ وبشرَّتها بالولدِ، وبولدِ الولدِ، وبصلاحِهم، وبطولِ عُمُرِها حتى ترى حفيدَها، وأنَّ زوجَها يكون معها.

وأعظمُ من ذلك؛ البشارةُ برحمةِ اللهِ وبركاتِهِ عليها وعلى زوجِها وولدِها. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود].

إنه الإيمانُ والعفافُ الذي أفاضَ اللهُ بهما عليها القَبولَ في الأرضِ والسماءِ.

- في طريقِ الصِّدِّيقةِ المُهاجرةِ عبرٌ وفوائدُ:

- الزَّوْجُ الصالحُ عونٌ لزوجتِه على طاعةِ اللهِ تَعَالَى.
- طاعةُ الزَّوْجِ وإدخالُ السرورِ عليه؛ سِمَةُ المرأةِ المؤمنةِ وسَمْتُها.
- التَّوَسُّلُ إلى اللهِ تَعَالَى عندَ الأزماتِ بالأعمالِ الصالحات.
- العفافُ وإحصانُ الفرجِ أرجى الأعمالِ الصالحةِ للمرأة عندَ اللهِ تَعَالَى.

صابرةٌ في وادي بكَّة

- من بيتِ مَلِكٍ فاجرٍ إلى بيتِ خليلِ اللهِ أبي الأنبياءِ.

هاجرُ عليها السلامُ امرأةٌ من القِبْطِ، وهبَها مِلِكُ مِصْرَ لِسَارةَ زوجِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فخرجت من بيتِ مَلِكٍ جبَّارٍ إلى بيتِ خليلِ الرحمنِ، خرجت من بيتِ المِلِكِ غيرَ مسلمةٍ، وفي بيتِ الخليلِ إبراهيمَ صارت مثلا لكلِّ مؤمنةٍ.

- هذهِ أُمُّكم يا بني ماءِ السماءِ.

الصِّدِّيقةُ سارةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لم تكرمْ بالوَلَدِ، فهي عقيمٌ وصارت عجوزًا.

وكان يَحْزُنُها أن ترى زوجَها ليس له ولدٌ. قيلَ: كان قد بلغَ من العُمُرِ ستًّا وثمانين سنةً، وهي قد جاوزت السبعين، فوهبتْ سارةُ لزوجِها إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هاجرَ، فولَدت له غلامًا زكيًّا هو سَيِّدُنا إسماعيلُ عليه السلامُ، الذي كانَ من نَسْلِهِ سَيِّدُنا

محمدٌ ﷺ، ففرحَ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ بهذا المولودِ الجديدِ، وكذلكَ فرِحتْ زوجتُه سارةُ لفرحِهِ. وقد سطَّرَ القرآنُ الكريمُ حمْدَ إبراهيمَ ربَّه على نعمةِ الولدِ، قَالَ إبراهيمُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم].

وكثُرتْ ذُرِّيَّة إسماعيلَ وتناسلت، وكُلُّ ولدِ إسماعيلَ من العربِ يقَالَ لهم "بنو ماءِ السماءِ" لأنَّ أمَّنا هاجرَ شربت من ماءِ زمزمَ وأرضعت ابنها إسماعيلَ عليه السلامُ فرَبَى بماءِ زمزمَ، وهي من ماءِ السماءِ.

- أنا هاجرُ أمُّ ولدِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الارتباطُ بالخليلِ إبراهيمَ شرفٌ وأيُّ شرفٍ، وقد تربَّتْ هاجرُ في بيتِ الخليلِ، وآمنت به وصدَّقتْه، ومنه أنجبت ولدَهما إسماعيلَ، وعلى خُطى المتوكلين.. وضَعَها الخليلُ في وادٍ غيرِ ذي زرعٍ.

وفي حديثِ خبرِ هاجرَ وسُكنى مكةَ شرَّفَها الله: (قَالَ: فناداها جبريلُ فقَالَ لها: من أنتِ؟ فقَالَت: أنا هاجرُ، أمُّ ولدِ إبراهيمَ. قَالَ: إلى من وكَلَكما؟ قَالَتْ: وكَلَنا إلى اللهِ. قَالَ: وَكَلَكما إلى كافٍ)[1].

وَحُقَّ لها هذا الافتخارُ، إسماعيلُ ولدُها من الخليلِ إبراهيمَ، صَدَقَتْ وصُدِّقَتْ.

- حنانٌ مشكورٌ.

اِبتدأ السَّعيُ بين الصفا والمروةِ مع أُمِّنا هاجرَ، يومَ أن انطلقتْ تبحثُ عن مُنْقِذٍ لِوَليدِها، فلم تتحملْ رُؤيتَه يتمَرَّغُ ويضرِبُ بنفسِه الأرضَ من الظمأِ والجوعِ، فصَعَدتِ الصَّفا، فنظرتْ فَلَم تَرَ شيئًا. ثم أتتِ المَرْوَةَ، فنظرت فَلَم تَرَ شيئًا، ثم رجعت إلى الصَّفا فنظرت، فَلَم تَرَ شيئًا! سبعُ مراتٍ وهيَ تُهرولُ

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ت شاكر (٦٩/٣) وحسَّنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠٢/٦).

بينَ الصَّفا والمَرْوَةِ، وقد أَنْهَكَها العَطَشُ، وَهَدَّها الجَهْدُ، وأضْناها الإشفاقُ على الطِّفلِ.

وفي الجولَةِ السابِعةِ، وقد حَطَمَها التَّعَبُ؛ تَجِدُ النَّبعَ يَتَدَفَّقُ بين يَدي الرَّضيعِ! إنَّها زمزمُ! الماءُ المُبارَكُ في البلدِ المُبارَكِ. سَيِّدُ أهلِ السماءِ بِعَقِبِهِ يَحفِرُ، وإسماعيلُ يشربُ. وليسَ ذلكَ غايةَ العطاءِ من اللهِ الشَّكورِ سُبْحانَهُ.

لقد عَبَّدَ اللهُ الرجالَ والنساءَ منذُ ذلكَ اليومِ وإلى يومِ القيامةِ بهذا العمل، فصارَ السَّعيُ بين الصفا والمروةِ دينًا ولتبقى من رمزِيَّتِهِ بشارةٌ لكلِّ أمٍّ عَطَفَتْ على وَليدِها حتى شَغَلَها حالُهُ عن حَالِها.

- اِمرأةٌ تُنَظِّمُ أعظمَ مَدْيَنَةٍ في الدنيا؛ مكةَ.

يَظَلُّ تاريخُ مكةَ -شرَّفها اللهُ- المحفوظُ إلى اليومِ؛ مقرونًا بالخليلِ وأهلِ بيتِ الخليلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لحكمةٍ

أرادها اللهُ، وأن يكونَ ذلكَ معَ أُمِّنا هاجرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أمِّ إسماعيلَ عليه السلامُ، التي أدارتْ أمرَ زمزمَ، وأَذِنَتْ لِقَبيلةِ جُرْهُمَ أن ينزِلوا بجِوارِها.

ولكنْ شرطتْ أن لا حَقَّ لهم في إدارةِ ماءِ زمزمَ، في وقتٍ لم يكنْ مَعَهَا إلا وَليدٌ رَضيعٌ، وزوجُها بعيدٌ، والجيرانُ غرباءُ، فما خُدِشَ لها حياءٌ، وما انتُهِكَ لها عفافٌ. ولقد حَزَمَتْ أَمْرَ السُقيا، رحِمها اللهُ رحمةَ الأبرارِ.

- أَوَّلُ مَنْ سَنَّ جَرَّ الثيابِ للمرأةِ عندَ العَرَبِ.

لَبِستْ هاجرُ المِنْطَقَ، وهو ثوبٌ طويلٌ، إن مشتْ مَسَحَ ذَيْلُهُ آثارَ مَشْيِها، وقد فَعَلَتْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ حتى تُخفيَ آثارَها عن مولاتِها سارة، واستمرَّت في لُبْسِهِ.

جاءَ في الحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ: "أَوَّلُ ما أحدثَ العربُ جرُّ الذُّيولِ[١]: عن أُمِّ إسماعيل"[٢].

قالَ ابنُ عباسٍ: "أَوَّلُ ما اتخذَ النِّساءُ المِنطَقَ من قِبَلِ أُمِّ إسماعيلَ، اتخذت مِنْطَقًا لتعفي أثرها على سارة ... الحديث[٣].

ما أعظَمَ بركةَ بيتِ الخليلِ على النَّاسِ.

- وفاءٌ شَهِدَ به القرآنُ.

جاءَ خليلُ اللهِ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بابنِه إسماعيلَ وزوجتِه هاجرَ عليهما السلام إلى مكةَ؛ لأجْلِ أن تقومَ ذُرِّيَّتُه من بعدِه إلى يومِ القيامةِ بعبادةِ اللهِ تَعَالَى وحدَه، وبالصلاةِ في هذا المكانِ.

---

(١) ثوبٌ طويلٌ إن مشتْ مَسِحَ ذَيْلُهُ آثارَ مَشيها.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/٤٠١).

(٣) رواه البخاري. انظري عمدة القاري (١٢/٤١٣).

وقد بدأَ خليلُ اللهِ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالاهتمامِ بتربيةِ ابنِهِ إسماعيلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الصَّلاةِ وهو ما يزالُ طِفلاً رَضيعًا؛ فقد كانَ يدعو اللهَ تَعَالَى أن يجعلَهُ مُقيمًا للصَّلاةِ.

وقامتِ السَّيِّدَةُ هاجرُ أمُّ إسماعيلَ عليها السَّلامُ بواجبِها، وكانتْ أَمينةً في تربيةِ ابنِها على الصَّلاة، وشهدَ اللهُ سُبْحَانَهُ لها بوفائِها لزوجِها، ونجاحِها في تربيةِ ابنِها على مقصودِ الإقامةِ بمكةَ بيتِ اللهِ الحرامِ. بل صارَ إسماعيلُ عليه السَّلامُ نبيًّا، مُقيمًا للصَّلاةِ، آمرًا أهلَهُ بها، وبذلكَ مدَحَه اللهُ تَعَالَى في القرآنِ!

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم].

ثم رضيَ عنه سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم].

وقد أمرنا اللهُ تَعَالَى بالاقتداءِ بخليلِ اللهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهلْ جعلْنا مقصودَ إقامتِنا بمكةَ -شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى- إقامةَ الصلاةِ، وَرَبَّينا أولادَنا عليها؟!!

- مَعَالِمُ لِأهلِ مكةَ جيرانِ بيتِ الخليلِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ :

- مشروعُ المرأةِ الأعظمُ هو بناءُ مُجتمَعِ الإيمانِ في بَيتِها.
- الإيمانُ الصادقُ أساسُ كلِّ خيرٍ.
- الأُمومَةُ الحانِيةُ سببٌ لِعطاءِ الله تَعَالَى.
- أهميَّةُ الوفاءِ بحقِّ الزَّوْجِ في رعايةِ الأولادِ.
- أهميَّةُ حفظِ المرأةِ زوجَها في نفسِها وَوَلَدِهِ.
- الثِّقَةُ في اللهِ تَعَالَى واللُّجوءُ إليهِ وحدَهُ عندَ الشدائدِ = سَبَبٌ للنصرِ والثباتِ.
- إعانةُ الزَّوْجِ على أمرِ دينِهِ ودعوتِهِ؛ من أبرزِ صفاتِ **نساءِ الرسالاتِ.**

الصِّدِّيقةُ البارَّةُ الصابرةُ

- خبرٌ لمجالسِ السَّمَرِ والفائِدَة.

كانت زوجةُ أيوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مع زوجِها، في الرَّخاءِ شاكرةً، وعندَ البلاءِ صابرةً، فضَرَبت بذلكَ أروعَ الأمثالِ في الوفاءِ، حتى أصبحتْ شامَةً في جبينِ الصالحاتِ القانتاتِ.

وحقيقٌ أن يكونَ خبرُها أحدَ مجالسِ السَّمَرِ والفائِدَة.

- عطاءُ اللهِ عظيمٌ.

قَالَ الإمامُ ابن كثيرٍ رحمهُ اللهُ: قَالَ علماءُ التفسيرِ والتاريخِ: (كانَ أيوبُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيرَ المالِ، نالَه من سائرِ صنوفِهِ وأنواعِه[1]: أنعامٌ وعبيدٌ وأراضٍ مُتَّسِعَةٍ ودورٌ، وهو مع ذلك كلِّه؛ فهو نبيٌّ يوحى إليه. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (١/ ٢٥٥).

أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ ﴾ [النساء].

- لم يبقَ عضوٌ سليمٌ سِوى القلبِ واللسانِ.

(وقد نزلَ البلاءُ بأيوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فذهبَ المالُ ولم يبقَ منه شيءٌ. وعمَّ البلاءُ بالأهلِ والأولادِ.. ولم يبقَ إلا زوجةٌ صالحةٌ راشدةٌ. وَحَلَّ المرضُ بالجسدِ.. ولم يبقَ منه عُضْوٌ سليمٌ سِوى قلبِهِ ولِسانِهِ يذكرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بهما، وهو في ذلكَ كلِّهِ صابرٌ محتسبٌ، ذاكرٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، في ليلِهِ ونهارِهِ، وصباحِهِ ومسائِهِ)[1].

واللهُ تَعَالَى يبتلي ليصطفي.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (١/ ٢٥٥).

- إنَّا وَجَدْناهُ صَابِرًا.

الأمثالُ كلماتٌ فيها عُمْقُ المعنى، تنتشرُ فتختصرُ المعانيَ الكبيرةَ وتُغني عن الكلماتِ الكثيرة.

وقد غدا صبرُ أيوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مثلاً لكلِّ صابرٍ، ومُحَفِّزًا لكلِّ مبتلىً يُرجَّى منه الصبرُ.

ويكفي أنَّ اللهَ تَعَالَى أشادَ بصبرِ أيوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآنِ العظيمِ. قَالَ الحقُّ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص].

- ثماني عشرةَ سنةً .. بلاءٌ .. صبرٌ .. وفاءٌ.

المالُ والعطاءُ يقرِّبُ الكثيرَ من الناس!

والفقرُ بعدَ الغنى، والمرضُ بعدَ الصحةِ، والضعفُ بعدَ القوة؛ يُباعِدُ الكثيرَ منهم.

وتغَيُّرُ الحالِ بوابةٌ لمَزَلَّةِ اللسانِ في انتقاصِ الناسِ واتِّهامِهم.

وفي خبرٍ صحيحٍ عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ نبيَّ اللهِ أيوبَ ﷺ لَبِثَ به بلاؤهُ ثمانَ عشرَةَ سنةً فرفَضَه القريبُ والبعيدُ إلا رجلينِ من إخوانِهِ كانا يغدوان إليهِ ويروحان، فقَالَ أحدُهما لصاحبِهِ ذاتَ يومٍ: تَعلَمْ! واللهِ لقد أذنَبَ أيوبُ ذنبًا ما أذنبهُ أحدٌ من العالمين. فقَالَ له صاحبُهُ: وما ذاك؟ قَالَ: منذُ ثمانِ عشرةَ سنة لم يرحمْهُ اللهُ فيكشفْ ما به!

فلما راحا إلى أيوبَ لم يصبرِ الرجلُ حتى ذكرَ ذلكَ له، فقَالَ أيوبُ: لا أدري ما تقولان! غيرَ أنَّ اللهَ تَعَالَى يعلمُ أني كنتُ أَمُرُّ بالرجلين يتنازعان، فيذكُرانِ اللهَ[1]، فأرجعُ إلى بيتي فأُكَفِّرُ عنهما، كراهيةَ أن يُذكَرَ اللهُ إلا في حقّ. قَالَ: وكان يخرج إلى

(١) يحلفان بالله.

حاجتِهِ فإذا قضى حاجتَهُ أمسكَتْهُ امرأَتُهُ بيدِهِ حتى يبلُغَ، فلما كانَ ذاتَ يومٍ أبطأَ عليها، وأُوحِيَ إلى أيوبَ: أنْ ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ [ص]. فاستبطأَتْهُ، فتلقَّتْهُ تنظُرُ، وقد أقبلَ عليها قدْ أذهبَ اللهُ ما بِهِ من البلاءِ، وهو أحسنُ ما كان! فلما رأتْهُ قَالَت: أيْ باركَ اللهُ فيك. هل رأيتَ نبيَّ اللهِ هذا المُبتلى؟ واللهُ القديرُ على ذلك! ما رأيتُ أشبَهَ منكَ إذْ كانَ صحيحًا، فقَالَ: فإني أنا هوَ! وكان له أَندَران (أي بيدران)[1]: أَندَرُ للقمحِ، وأَندَرُ للشعيرِ، **فبعثَ اللهُ سحابتين، فلما كانت إحداهما على أَندَرِ القمحِ أفرغتْ فيه الذهبَ حتى فاضَ! وأفرغت الأخرى في أَندَرِ الشعيرِ الوَرِقَ[2]حتى فاضَ!)[3].**

---

(١) موضع يُجمع فيه القمح ثم يداس فيه حتى يخرج سنبله. انظري: لسان العرب، مادة بدر.

(٢) أيْ الفضة.

(٣) رواه ابن حبان والحاكم وأبو يعلى وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٥٣)، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط الشيخين.

ويبقى الأوفياءُ يُمَيِّزُهمُ الابتلاءُ.

- لم يبقَ أحدٌ يحنو عليه سوى زوجَتِه!

كلمةُ فخرٍ تُسجَّلُ لكلِّ امرأةٍ تقيةٍ وفيةٍ لزوجِها.. موقفُ امرأةٍ أنصَفَها موقِفُها الذي اتخذَتْه من البقاءِ مع زوجِها وقتَ الشِّدَّةِ.

قَالَ ابنُ كثيرٍ عن زوجةِ أيوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "ولم يبقَ أحدٌ يحنو عليه سوى زوجتِه، كانت ترعى له حَقَّهُ، وتعرفُ قديمَ إحسانِهِ إليها وشفقتِهِ عليها. فكانت تتردَّدُ إليه فتُصلحُ من شأنِه، وتُعينُه على قضاءِ حاجتِه، وتقومُ بمصلحتِه. وضعُفَ حالُها وَقَلَّ مالُها حتى كانت تخدِم الناسَ بالأجر، لتُطعِمَه وتقومَ بأَوَدِهِ[1]، رضيَ اللهُ عنها وأرضَاها، وهي صابرةٌ معه على ما حَلَّ بهما من فِراقِ المالِ والولدِ، وما يختصُّ بها من المصيبةِ بالزَّوْج وضِيقِ ذاتِ

(١) تُصلِح أمورَه.

اليدِ، وخِدمةِ الناسِ بالأَجرِ، بعدَ السَّعادةِ، والنِّعمَةِ، والخدمةِ، والحُرمةِ. فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون"[١].

- يا ربِّ! ومن يشبعُ من رحمتِكَ!

فَرَجُ اللهِ قريبٌ. فقد أذهبَ اللهُ تَعَالَى عن أيوبَ ما كانَ يَجِدُهُ من الألمِ والأذى، وأخلفَ اللهُ له أهلَهُ، وردَّ عليه المالَ وأعطاهُ. واللهُ تَعَالَى إذا أعطى أدهشَ.

روى البُخاريُّ في صحيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنَّه قَالَ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ[٢] جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ:**

---

(١) قَصَصُ الأنبياءِ (١٨١).

(٢) جماعةٌ من الجراد. وهذا اللفظُ من أسماءِ الجماعاتِ التي لا واحدَ لها من لفظها، مثلُ: سِرْبٍ من الطير. انظري: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣٧٣/٥).

يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»[1].

إنَّها عاجلُ البشرى لزوجين كريمين. وما عندِ اللهِ: خيرٌ للأبرارِ.

- للتاريخِ تأثيرٌ وتوجيهٌ.

- المواقفُ الصعبةُ تُبرِزُ المعادنَ الغاليةَ من النُّفوس.
- في قَصَصِ القرآنِ عِبرةٌ وَعِظَةٌ، وتثبيتٌ وتسلِيَةٌ.
- اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى شكورٌ، واللهُ سُبْحَانَهُ أوفى الأوفياءِ، فلا يأْسَ مِنْ رحمتِه.
- الأسرةُ مشروعُ المرأةِ الرَّئيسُ في الحياةِ.
- الأخلاقُ؛ رأسُ مالِ المرأةِ الصالحةِ، وهي أثمنُ ما تَملِك: [الصبرُ والوفاءُ و الحياءُ والعفافُ].

---

(١) رواه البخاري (٤/١٥١).

أمُّ موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ و رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

- مولودٌ في حالةٍ استثنائيةٍ.

اِتخذَ فرعونُ قرارًا بقتْلِ الأطفالِ الذكورِ من بني إسرائيلَ، والسببُ: رؤيا منامٍ عُبِّرَتْ له بأنَّ غُلامًا يولَدُ من أولادِ يعقوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يكونُ هلاكُ أهْلِ مِصْرَ على يديه.

وفي هذا الظَّرفِ العصيبِ حملتْ أمُّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص].

- خَوفُ الأمِّ ... وَوَعْدُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أربكتْ حالةُ الرُّعبِ والتَّرَقُّبِ أمَّ موسى، فكيف تحافظُ على ابنِها من مذابحِ فرعونَ، والأمُّ إذا خافت على وليدِها ضَمَّتْهُ إلى صدرِها !! أمَّا أُمُّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد أُرشِدَتْ أنْ تُرْضِعَهُ، فإن أحسَّتْ خوفًا وَضَعَتْهُ في تابوتٍ وألْقَتْهُ في نهرِ النِّيلِ. وأُلقِيَ في خَلَدِها ورُوعِها ألَّا تخافي ولا تحزني، فاللهُ يردُّهُ إليكِ بِعِزَّةٍ وكرامة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص].

وَوَثِقَتْ أمُّ موسى بموعودِ اللهِ تَعَالَى، ونزلَ الإلهامُ على قلبِها بَرْدًا وَسَلامًا.

- الرضيعُ ... مِنَ اليَمِّ إلى يَدِ العَدُوِّ.

بدأَ فرعونُ يقتلُ الغِلمانَ، دونَ رحمةٍ أو شفقةٍ، حذَرًا من وجودِ موسى. رجالٌ وقوابلُ يدورونَ على الحَبالَى ويَعلَمونَ ميقاتَ وَضْعِهِنَّ، فلا تَلِدُ امرأةٌ ذَكَرًا إلا ذبحَه أولئكَ السفاحونَ من ساعَتِهِ. واللهُ العظيمُ سُبْحَانَهُ حَكَمَ أنَّ المَولودَ الذي قُتِلَ بسببِهِ ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى؛ يَتربَّى في دارِ فِرعونَ، ويغذو من طعامِهِ وشرابِهِ، ويكونُ هلاكُ فرعونَ في دنياهُ وأخراهُ على يديهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾

وأُدخِلَ الرضيعُ موسى قصرَ فرعونَ.

- أُمُومةٌ مِلْءُ الفُؤادِ.

هل يكونُ الفؤادُ فارِغًا؟ ينسى الدُّنيا وكلَّ ما فيها؟ نعم! إذا امْتَلأَ أُمُومَةً!

إنَّه فُؤَادُ أمِّ موسى، رَمْزُ الأُمومةِ الحَانِيَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص].

قَالَ ابنُ عباسٍ ومجاهدُ وعكرمةُ وسعيدُ بنُ جبيرٍ وأبو عبيدةَ والحسنُ وقتادةُ والضحاكُ وغيرُهم:" وأصبحَ فُؤَادُ أمِّ موسى فارغًا" أيْ مِن كُلِّ شيءٍ مِن أمورِ الدنيا، إلا مِن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1]!! فكيفَ يعودُ مولودٌ من قصرِ فرعونَ، لأمٍّ فارغةِ الفؤادِ؟

- رَدَدْناهُ ... كَيْ تَقَرَّ عَينُهَا.

دَخَلَ الطفلُ الرضيعُ موسى قصرَ فرعونَ، ووصلَ يدَ امرأةِ فرعونَ، وجعلَ اللهُ له القبولَ في نفسِها، وشفعتْ عندَ المِلِكِ، فأبقاهُ.

---

(١) قَصَصُ الأنبياءِ (٢٠٢).

وجاعَ الرضيعُ: أطعموه؛ لا يقبلُ! أرضعوه؛ لا يقبلُ! بَدَأوا البحثَ عن مُرْضِعَةٍ، فرأتهم أختُ موسى وهي تبحثُ عن أخيها بأَمرِ أُمِّها، لم تَبُحْ بسرٍّ أنَّه أخوها، ودلَّتهم على امرأةٍ قد يقبلُ أنْ يَرضَعَ منها.

وطُلبتْ للقصرِ أمُّ موسى، وأَرضعتِ الطفلَ وأَقبلَ عليها. فطلبوا بقاءَها، فاعتذرت، إلا أنْ يُنقَلَ الطفلُ إليها. وجاءَت الموافقَةُ مع راتبٍ ونفقةٍ وكُسْوَةٍ وهِباتٍ. وكلُّ ذلكَ على عينِ فرعونَ، يحميه فرعونُ! المخاوفُ تضطربُ من حوله وهو آمنٌ قَريرُ العينِ.

ما أعظمكَ يا الله! بَشَّرْتَ بعودةِ الطفلِ إلى أمِّهِ! فَهَا هِيَ تَحمِلُهُ، وقَرَّتْ عينُها وزالُ حزنُها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾. [القصص].

- عِبَرٌ من مَدرَسَةِ الأُمومَةِ الصَّادقة.

- الصبرُ عندَ الأزمات.
- الثِّقَةُ في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوَعْدِهِ.
- عاطفةُ الأُمومةِ أصدقُ عاطفةٍ.
- تدبيرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلعبدِ خيرٌ من تدبيرِ العبدِ لنفسِهِ.
- الظلمُ عاقبتُهُ وَخِيمَةٌ.
- اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يُحيي ويُميتُ.

صاحبةُ التكريمِ الإلهيّ

- آسيا بنتُ مزاحم.. زوجُ فِرعونَ.

هي التي استقبلت موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في بيتِ فرعونَ.

- مُرَبِّيَةُ كليمِ الله.

في جَوٍّ تفوحُ منه رائحةُ الدَّمِ، دمِ الأطفالِ الأبرياءِ، أُدخلَ تابوتٌ إلى قصرِ فرعونَ، وفي داخلِ التابوتِ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو طفلٌ رضيعٌ.

كشفت آسيا بنتُ مزاحم -امرأةُ فرعونَ- عن وجهِ موسى فأحبَّتْهُ حُبًّا شديدًا، ولما جاءَ فرعونُ أمرَ بقتْلِهِ، وآسيا تَذُبُّ عنه وتستوهِبُه من فرعونَ، وتسلُكُ كلَّ طريقٍ لإقناعه. وما زالت بفرعونَ حتى قَبِلَ إبقاءَه!

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا نَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

فعاشَ موسى تحتَ رِعايَتِها مُعزَّزًا مُكَرَّمًا.

- فِراسةٌ ... أثمرتْ هِدايةً.

لقد كانت فِراسةُ آسيا بنتِ مزاحم في الرضيعِ موسى صادقةً حينَ قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي﴾[1]، وحينَ قالت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾. فلقد أنالها اللهُ تَعَالَى ما رَجَت من النفع؛ أمَّا في الدنيا فهداها اللهُ به، وأمَّا في الآخرةِ فأسكنها بسببه الجَنَّةَ.

أمَّا فرعونُ فلم يقبلْ فِراسَتَها، وقال لها: أمَّا لكِ فنَعَم! وأمَّا لي فلا! والبلاءُ موكلٌ بالمَنطِق؛ ففي الدنيا أهلكَهُ اللهُ تَعَالَى على يدي موسى، وأمَّا في الآخرةِ فقد أُدخلَ النارَ بسبب تكذيبه له[2].

---

(١) انظري: فتح الباري (٥٠٦/٦).

(٢) انظري: قَصَصُ الأنبياءِ (٢٠٢).

- آمَنَتْ .. فَصَدَقَتْ.

قصرٌ فرعونَ أمتعُ مكانٍ تجد فيه امرأةٌ ما تشتهي! فكيفَ بِسَيِّدَةِ القصرِ زوجةِ فرعونَ والدنيا في أزهى صورةٍ تحيطُ بها، لكنَّها أبصرتْ نورَ الإيمانِ، فآمنتْ آسيا بنتُ مزاحم -زوجةُ فرعونَ- بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاستعلت بإيمانها على كلِّ مُتَعِ قصرِ فرعونَ واعتبرته شرًّا ودَنَسًا تستعيذُ باللهِ منه، وتَبَرَّأتْ من صِلَتِها بفرعونَ، وتَبَرَّأتْ من عَمَلِهِ، فهيَ ألصقُ الناسِ به، وتَبَرَّأتْ من قومِ فرعونَ وهي تعيشُ بينهم، لكنَّها أبصرت الحقَّ.

ولقد ناجتْ ربَّها بذلكَ كلِّهِ فجعله اللهُ في سِجِلِّ الخالدينَ:

﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾

- ثَباتٌ حتى المماتِ.

المرأةُ لِعاطفتها؛ أَشَدُّ شعورًا وحساسِيَةً بِوَطْأةِ المجتمعِ من حولها.

ولقد كانت آسيا بنتُ مزاحم نموذجًا عاليًا في التَّجَرُّدِ للهِ تَعَالَى، فلم يُزعزِعْ إيمانَها تعذيبُ فرعونَ لها، بل وهي تحتَ العذابِ تسألُ: من غَلَبَ؟ فيُقالُ: غَلَبَ موسى وهارونُ. فتقول: آمنتُ بربِّ موسى وهارونَ.

قال الحافظُ ابنُ حجر: ومن فضائلِ آسية امرأةِ فرعونَ أنَّها اختارتِ القتلَ على المالِ، والعذابَ في الدنيا على النَّعيمِ الذي كانت فيه[1].

- قَصْرٌ بِقَصْرٍ خيرٍ منهُ ... وجِوارٌ بجِوارٍ خيرٍ منهُ.

آسيا بنتُ مزاحم امرأةُ فرعونَ استعلتْ بإيمانها على بريقِ قَصْرِ فرعونَ، فأبدلَها اللهُ به قَصْرًا في الجَنَّةِ.

واستعلتْ على جِوارِ فرعونَ وعِنْدِيَّتِهِ، فأبدلَها الله به جِوارَهُ وعِنْدِيَّتَهُ سُبْحَانَهُ.

---

(١) فتح الباري (٦/٥١٦).

ومِنْ فِقْهِها؛ طلبتِ الجارَ قبلَ الدارِ. والبيتُ في الجِوارِ خيرٌ من ألفِ قَصْرٍ في غير الجِوارِ.

استعلتْ على جِوارِ فرعونَ وهامانَ وعِنْدِيَّةِ النَّدامةِ، فكان لها الزُّلفى والكرامة(١).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم].

- أفضلُ نساءِ العالمينَ وأكمَلُهُنّ

كما جاءَ القرآنُ الكريمُ بتكريم آسيا امرأةِ فرعونَ؛ فقد نطقَ النّبيُّ ﷺ بذلكَ، فَقَالَ: «**أفضلُ نِساءِ أهلِ الجَنَّة خديجةُ بنتُ**

(١) الجزاء من جنس العمل، المؤلف: سيد حسين العفاني (٢/٦٥).

خُويلد، وفاطمةُ بنتُ محمدٍ، وآسيةُ بنتُ مُزاحم امرأةُ فرعونَ، ومريمُ ابنةُ عمرانَ»[١].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَمُلَ من الرِّجالِ كثيرٌ، ولم يَكمُلْ من النساءِ إلا آسيةُ امرأةُ فرعونَ، ومريمُ بنتُ عمرانَ. وإنَّ فَضْلَ عائشةَ على النِّساءِ كفضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطَّعام»**[٢].

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٩٤)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء.

- عِبَرٌ من صاحِبَةِ التَّكريمِ الإلهيّ.

- الإيمانُ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ أغلى من الدنيا وما فيها.
- الحنانُ والعطفُ فِطْرَةٌ في قلبِ المرأةِ.
- الأعمالُ الصالحةُ هي التي ترفعُ صاحِبَها عندَ اللهِ سُبْحَانَهُ.
- كم من امرأةٍ سبقتْ رجالًا في بابِ الخيراتِ والأعمالِ الصَّالحةِ.

دروسٌ في الحياءِ

- زوجةُ موسى كليمُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأختُها

امرأتانِ من قومِ مَدْيَن، كانتا ترعَيانِ الغنمَ. يُقَالَ إنَّهما ابنتا شُعيبٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- بِرٌّ وعِصامِيَّةٌ.

برُّ الوالدين واجبٌ؛ فهو حقٌّ على البنتِ كما هو حقٌّ على الابن.

واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى. أمورٌ اضطَرَّت المرأتين أن تُمارِسا الرَّعْيَ لأغنامِ أبيهما الشَّيخِ الكبيرِ.

- مَوْقِفٌ مُدْهِشٌ!

امرأتان تقفانِ بعيدتين عن بئرِ مَدْيَنَ، تمنعانِ أغنامَهما عن الوُرودِ على البئرِ.. الرِّعاءُ يتزاحمون على الماء.. مواشيهمُ

الكثيرةُ تَرِدُ وتشربُ حتى تروَى، فيُصدِرُ الرِّعاءُ بأنعامِهم، ويأتي غيرهم.. وهكذا! والمرأتانِ على حالهما؛ لا الرجالُ أعانوهما في سَقْيِ ما معهم من الماشيةِ، ولا المرأتانِ تقدَّمتا نحوَ البئرِ لتشربَ أنعامُهما!

وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَرَدَ لِتَوِّهِ ماءَ مَدْيَنَ فارًّا من فرعونَ يرقبُ هذا المشهدَ العجيبَ.

وأصحابُ النفوسِ الكريمةِ المملُوءَةِ رُجولةً ونَخْوَةً وشهامةً وحَمِيَّةً، النفوسُ التي تفيضُ رحمةً بالضعفاءِ؛ حينَ يرونَ فَقْدَ المُروءَةِ والإجحافَ بحقِّ الضعفاءِ يَهُبُّونَ للنّجدةِ، مُعلنينَ عِظَمَ المُصابِ، مُحذِّرينَ من خِسَّةِ الطِّباعِ.

وقد جاءَ السؤالُ من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للمرأتين: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ سؤالٌ سريعٌ، قويٌّ في التعبيرِ عن بشاعةِ الموقِفِ الذي حصلَ .. فماذا كانَ الجوابُ؟! !

- حياءٌ مُتَجَذِّرٌ.

وكما كانَ السؤالُ سريعًا قويًّا في مضمونِهِ؛ جاءَ الجوابُ سريعًا عميقًا في مدلولاتِهِ، كأَنَّهُ مُعَدٌّ للسؤالِ مُسبقًا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص].

إنَّ ما رأيتَ وأدهشكَ يا موسى ليسَ فعلَنا اليومَ! بل هو فعلُنا كلَّ يومٍ!

عادتُنا عندَ سَقْيِ مواشينا التَّأَنّي حتى ينتهيَ الرِّعاءُ من سَقْيِ مواشيهم الكثيرةُ. ولو لم نجدْ لأغنامِنا إلا بواقيَ ماءِ الرِّعاءِ بعدَ انصرافِهم؛ فهوَ أهونُ على نفوسِنا من مخالطةِ الرِّجالِ ومزاحمةِ الرِّعاءِ.

- الحياءُ خلقٌ جميلٌ.. وأجملُ ما يكونُ من المرأةِ!

ويستمرُّ الجوابُ منهما لتُظهِرَا العذرَ في مجيئِهما بمواشيهما بينَ الرِّجالِ وتَوَلِّيهما للسَّقْيِ، فليسَ لهما رَجُلٌ يقومُ بالسَّقْيِ. والرَّجُلُ الوحيدُ لهما هوَ أبوهما وقد بَلَغَ من الكِبَرِ عِتِيًّا فأصبحَ

عاجزًا عن الحضورِ بنفسهِ لسَقْيِ الماءِ بدلًا منهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ جوابٌ موجزٌ، لكنَّه جامِعٌ مانِعٌ، نَقَلَ الإجابةَ عن الكلامِ في أخطاءِ الآخرينَ نحوَهُما إلى هدِف إيصالِ نقاءِ سيرتِهما ونصاعَةِ صفحتِهما عِفَّةً وكرامةً. وهل بعدَ إيمانِ المرأةِ أهمُّ من عفافِها وحيائِها؟!

- صِدقُ المشاعر.

ما أرخصَ المشاعرَ حينَ تكونُ نهايتُها كلامًا لا يُحدِثُ عملًا معَ وجودِ القدرةِ!

وما أصدقَ المشاعرَ حينَ يُشارِكُها ويعقُبُها عملٌ وفقها!

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ بالفاءِ التي تفيدُ التعقيبَ المباشرَ بدونِ إبطاءٍ؛ جاءَ الإخبارُ عن صنيعِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فشربت ماشيَتُهما، ورجعتا إلى بيتِهما مُبَكِّرَتينِ على غيرِ عادتِهما.

وفي البيتِ.. دارَ الحوارُ بين البِنتينِ ووالدِهما الشيخِ الكبيرِ. وقد أنتجَ الحوارُ حَدَثاً لتستمرَّ القصةُ في عطائِها وثراءِ فوائِدِها !

- مِشيةٌ باستحياءٍ .. وإيصالُ رسالةٍ بِلا تَرَدُّدٍ .

خرجت إحدى المرأتينِ من بيتِها نَحوَ الرَّجُلِ الغريبِ الذي لا تعرفُ اسمهُ، لتوصِلَ له رسالةً من أبيها. خرجت تـمشي مِشيةَ الفتاةِ الطَّاهرةِ الفاضلةِ العفيفة، تمشي غير مُتَبَخْتِرَةٍ ولا مُتَثَنِّيَةٍ.

فجاءتهُ إحداهُما تـمشي على اسْتِحْياءٍ، ووصلت إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وألقتْ إليهِ دعوةً في أَقْصَرِ لَفْظٍ وأَخْصَرِهِ وَأَدَلِّهِ وبدون تَزَيُّدٍ، وأسندتْ فيها الدعوةَ إلى أبيها، وَعَلَّلَتْها بالجزاءِ؛ لِئَلَّا يُوهِمَ كلامُها رِيبَةً، فَدَلَّ على كَمالِ العقلِ، والحياءِ، والعِفَّةِ: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[القصص].

- يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ.

إنَّه الصِّدقُ في طلبِ السِّتْرِ وألا تَحْتَكَّ بالرِّجالِ الغُرباءِ في المرعى والمسقى.

فالعفيفةُ طاهرةُ القلبِ، سليمَةُ الفطرة، لا تستريحُ لمزاحمةِ الرِّجالِ ولا لِلتَّبَذُّلِ الناشِئِ عن هذه المزاحمة. فلم تترددْ في طلبِ الاستئجارِ؛ لأَن الخروجَ من بيتها ومزاحمةَ الرِّجالِ ثقيلٌ على نفسها.

وقد صدقتْ في طلَبِها فصَدَقها اللهُ تَعَالَى.

- عقلٌ راجحٌ.

﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ ﴾ [القصص].

إذا اجتمعت الكفايةُ والأمانةُ في القائمِ بأمرٍ ما؛ فقد تَمَّ المقصودُ.

فبهذينِ الخُلُقينِ اجتمعت الكفاءَةُ التَّأْهيلِيَّةُ والكفاءَةُ النفسِيَّةُ.

وهوَ كلامٌ جرى مجرى المَثَلِ، وصارَ مطروقًا للنَّاسِ، كيفَ لا؛ والخلَلُ لا يكونُ إلا بِفَقْدِهما أوْ فَقْدِ أحدِهما؟! وأمَّا باجتماعِهما؛ فإنَّ العملَ يَتِمُّ ويكمُلُ.

- من مَدْرَسَةِ حياءِ زوجةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ **وأختِها:**

- برُّ الوالدين.
- العملُ الشريفُ أولى مِنْ مَدِّ اليَدِ للنَّاسِ.
- الحديثُ معَ غيرِ المحرمِ يكونُ على قَدْرِ الحاجةِ.
- ضرورةُ العملِ خارجَ الدارِ **لا تعني إسقاطَ الحياءِ.**

مريمُ العذراءُ عليها السلام

- سَلِيلَةُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ.

الصِّدِّيقَةُ مريمُ بنتُ عمرانَ من سُلالَةِ النبيِّ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بلا خلافٍ[١].

- بَرَكَةُ دَعْوَةِ الأُمِّ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطان حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطان، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٢] [آل عمران].

---

(١) قَصَصُ الأنبياءِ لابن كثير (٣٨).

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٢٦٥) واللفظ له، ومسلم (٤/ ١٨٣٨).

- العَابِدَةُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران].

لم يكنْ في زمانِها نظيرُها في العبادةِ، حتى ضُرِبَ بها المَثَلُ في العِبادةِ عندَ بني إسرائيلَ. واشتهرت بما ظهرَ عليها من الأحوالِ الكريمةِ والصِّفاتِ الشَّريفةِ.

قالَ ابنُ الجوزيِّ رحمهُ اللهُ: (كَفَلَها زَكرِيَّا، فأراهُ المُسَبِّبُ غِناها عنِ السَّبَبِ بِآيةِ: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا﴾. فربَّاها من رَبهَا فَنَشَأَتْ لَا ترى إِلَّا رَبَّها[1].

---

(١) المُدهِشُ (١٠٩).

- أُمُّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكافِلَتُهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آل عمران]. والبِشارةُ من المَلائِكَةِ لا تَكونُ إلا بِخَبَرٍ عَظيمٍ مُفرِحٍ.

قالَ العَلَّامةُ السَّعْدِيُّ رحمهُ اللهُ: "الملائِكةُ بَشَّرتْ مريمَ عليها السلامُ بأعظمِ بشارةٍ، وهوَ عيسى بنُ مريمَ، كَلِمَةُ اللهِ وعَبدُهُ وَرَسُولُهُ[١].

- شُؤْمُ التَّعدِّي على أعْراضِ العَفيفَاتِ.

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى قولَ المُرجفينَ في مريمَ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾. [مريم].

---

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٣١) بتصرف.

فَحَكَمَ اللهُ تَعَالَى على فِرْيَتِهم فقَالَ: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [النساء].

- النَّاجونُ في أَمْرِ العَذْرَاءِ مريمَ عليها السَّلامُ.

عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنه قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»[1].

فهؤُلاءِ هم الناجونَ المُثابُونَ، والمُؤَيَّدونَ المَنصورونَ.

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥).

- أحسنُ الأوصافِ في سِجِلِّ الخالدين:

▪ **القَبولُ والنَّباتُ الحسَنُ مِنَ اللهِ تَعَالَى لها.**

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[آل عمران].

▪ **الاصطفاءُ والتطهيرُ على نساءِ العالمين.**

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران].

▪ **الصِّدِّيقةُ.**

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾[المائدة].

▪ **أفضلُ نساءِ الجنَّة.**

عنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: خَطَّ رسولُ اللهِ ﷺ في الأرضِ أربعَةَ خطوطٍ، قَالَ: **"أتدرون ما هذا؟"**، قَالَوا: اللهُ ورسوله أَعلم، فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ -: **"أفضلُ نساءِ أهلِ**

الجَنَّة خديجةُ بنتُ خوَيلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، ومريمُ بنتُ عمرانَ، وآسيةُ بنتُ مُزَاحم امرأةُ فرعونَ"[١].

- معَ العَذْرَاءِ: حِكَمٌ وآدابٌ:

- دَعوَةُ الأُمِّ لِولَدِها مقبولةٌ عندَ اللهِ تَعَالَى.
- اللهُ تَعَالَى يُدافِعُ عن أوليائِهِ الصالحينَ أهلِ العفافِ.
- صِيانةُ الألسُنِ عن أعراضِ العفيفاتِ.
- الأُمُّ أساسٌ في بناءِ الأجيالِ المؤمنةِ.

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٩٤)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

خيرُ نساءِ الأمَّةِ خديجةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

- زوجةُ سَيِّدِ البَشَرِيَّةِ محمدٍ ﷺ.

خديجةُ بنتُ خويلد، الزَّوْجةُ الأولى لِرسولِ اللهِ ﷺ وأمُّ أولادِهِ كُلِّهم، إلَّا إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- السابقةُ إلى الإسلام.

عَنْ عَائِشَةَ، أنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا، حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: "مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي

النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ"[١].

- أكثرُ من ربعِ قَرْنٍ في خِدمَةِ زوجِها رسولِ اللهِ ﷺ .

في العِشْرَةِ: لم تَسُؤْ رسولَ اللهِ ﷺ قَطُّ، ولم تُغاضِبْهُ.

في الدِّينِ: تثبيتٌ لهُ وتصديقٌ بِهِ، وإيمانٌ بما أُنزِلَ عليه.

في الدُّنيا: واسَتْهُ بمالِها.

فكانت بحقٍّ وَزيرَ صِدْقٍ لِرسولِ الله ﷺ بنفسِها ومالِها.

ثباتٌ حتى المماتِ، رحِمَها اللهُ ورضيَ عنها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ط الرسالة (٣٥٦/٤١)، وصححه شعيب الأرنؤوط والمحققون.

- معروفٌ لا يُنسى.

لم يَسْأَمْ رسولُ اللهِ ﷺ من الثناءِ عليها والاستغفارِ لها.

وقَالَ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا».

عَنْ عَائِشَةَ، أنها قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[1].

---

(١) رواه مسلم (٤/١٨٨٨).

- كَلِماتٌ تَفوحُ أَرِيجًا.

قَالَتْ خديجةُ لِرسولِ اللهِ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»(١).

- تبشيرُ خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ من بلاغِ الرسالةِ المُحمديَّة.

قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلا نَصَبَ» (٢).

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: "مُنَاسَبَةُ نَفْيِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ أَعْنِي الْمُنَازَعَةَ وَالتَّعَبَ، أَنَّهُ ﷺ لَمَّا دَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ أَجَابَتْ خَدِيجَةُ طَوْعًا فَلَمْ تُحْوِجْهُ إِلَى رَفْعِ صَوْتٍ وَلَا مُنَازَعَةٍ وَلَا تَعَبٍ فِي ذَلِكَ، بَلْ أَزَالَتْ

---

(١) رواه البخاري (١/٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ط الرسالة (٣/٢٨٣). ورواه البخاري (٥/٣٩) بلفظٍ آخر.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣٨)

عَنْهُ كُلَّ نَصَبٍ، وَآنَسَتْهُ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ. فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مَنْزِلُهَا الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ رَبُّهَا بِالصِّفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِفِعْلِهَا[٢]. مِثْلًا بمثلٍ.

- سَيِّدَةُ الدنيا هيَ سَيِّدَةُ الآخِرةِ.

قَبْلَ الإسلامِ؛ كانَ أهلُ مكةَ يَصِفونَ خديجةَ بِسَيِّدَةِ قريشٍ ويدْعونَها بالطاهرةِ.

وفي الإسلامِ؛ هيَ الصِّدِّيقةُ الأولى لِرسولِ اللهِ ﷺ وخيرُ نِساءِ الأُمَّةِ.

وفي الآخرةِ؛ هيَ أفضلُ نِساءِ أهلِ الجَنَّةِ، معَ مريمَ بنتِ عمرانَ، وآسيةَ بنتِ مزاحم، وفاطمةَ بنتِها وبنتِ محمد ﷺ ورضِيَ اللهُ عنهنَّ.

- خصيصةٌ لِسَيِّدَةِ نِساءِ المسلمينَ: "فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي"!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: "أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ"(١).

- فوائدُ مِن مَدْرَسَةِ سَيِّدَةِ النِّساءِ :

- المُبادرةُ إلى فِعْلِ الخيراتِ.
- عندَ اختيارِ الزَّوْجِ: يُقَدَّمُ الصِّدقُ والأمانةُ، على الثراءِ والمالِ.
- الاحترامُ المُتبادَلُ بينَ الزَّوْجينِ أساسُ السَّعادَةِ.
- مِعيارُ نجاحِ الزَّوْجةِ أن يُصبحَ بيتُها سَكَنًا مُريحًا لزوجِها ولها.

(١) رواه البخاري (٥/٣٩).

الصدِّيقةُ عائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هيَ الزَّوْج البِكْرُ لِرسولِنا محمدٍ ﷺ.

- في سَرَقَةٍ[١] الحَرِيرِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَاكْشِفْ عَنْهَا. فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ»[٢].

---

(١) بفتح السين والراء، قيل: هو الأبيض من الحرير، وقيل: الجيد منه. فتح الباري لابن حجر (١/١٣١).

(٢) رواه البخاري (٥/٥٦) ومسلم (٤/١٨٨٩).

- المحبوبة.

عنْ عَمْرو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»(١).

- سَلامٌ مِن جِبريلَ للصِّدِّيقَةِ.

عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ» فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»(٢).

- اختيارٌ لا مُراجعةَ فيهِ.

عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ

---

(١) رواه البخاري (٥/٥) ومسلم (٤/١٨٥٦).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٩) واللفظ له، ومسلم (٤/١٨٩٦).

لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب] "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ»[١].

- بِشارَةٌ قَبْلَ الفِراقِ.

عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ فَاطِمَةَ، قَالَتْ: فتكلمتُ أَنَا فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تكُوني زَوْجَتِي فِي الدُّنيا والآخرةِ» ؟! قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: «فأنتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنيا والآخرةِ»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦/١١٧) ومسلم (٢/١١٠٣) وهذا لفظ مسلم.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (١٠/١٨١) وصححه الألباني.

- غارَ الجليلُ سُبْحَانَهُ لِعائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

نَزَلَ الوحيُ ببراءةِ الصِّدِّيقةِ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مما رُمِيَتْ به من الإفكِ، وتُلِيَ الوحيُ في المحاريبِ، وسَيُتْلى إلى يومِ القيامةِ على رغْمِ أَنْفِ كُلِّ أفَّاكٍ أثيمٍ.

- بِقُرْبِ الحبيبِ إلى آخرِ اللحظاتِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي نَوْبَتِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ، قَالَتْ: «دَخَلَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكٍ، فَضَعُفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَمَضَغْتُهُ، ثُمَّ سَنَنْتُهُ[١] بِهِ»[٢].

- خمسونَ سنةً في التَّعليم.

عُمِّرتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ قريبًا من خمسين سنةً **تُبَلِّغُ عن رسولِ اللهِ ﷺ القرآنَ والسنةَ، وتُفتي المسلمينَ، وتُصلِحُ بين المُختلفينَ[٣].**

- الصِّدِّيقَةُ تنقُلُ رُبُعَ الأَحكامِ الشَّرعِيَّةِ للأُمَّةِ.

---

(١) سوَّكْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلمَ بِهِ.

(٢) رواه البخاريّ (٤/٨١).

(٣) قَصَصُ الأنبياءِ، ابن كثير (٣٨٦).

قَالَ الإمامُ ابنُ حجرَ: (نقلَ الناسُ عنها -أي عائشة- من الأحكامِ والآدابِ شيئًا كثيرًا، حتى قيلَ إنَّ رُبُعَ الأحكامِ الشَّرعِيَّةِ منقولٌ عنها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)[١].

- حِكَمٌ مستفادةٌ من عالِمَةِ الأُمةِ الصِّدِّيقةِ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

- خدمةُ الزَّوْج وطاعتُه إلى آخرِ لحظاتِ الحياةِ.
- التعليمُ أشرفُ مهنةٍ لمُرَبِّيَةِ الأجيالِ.
- الحياءُ شامةٌ[٢] في جبينِ العفيفاتِ.
- صونُ اللسانِ عن أعراضِ العفيفاتِ.
- خوفُ العفيفةِ على سُمعتِها يُبعِدُها عن كلِّ قولٍ أو عملٍ أو مكانٍ، أو تواصُلٍ يُسيء إليها.

---

(١) فتح الباري (١٠٧/٧).

(٢) علامة واضحة.

أمُّ السِّبْطَينِ فاطمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أمُّ الحَسَنِ والحُسَينِ، فاطمةُ بنتُ رسولِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ.

ولدت سنةَ إحدى وأربعينَ من مولدِ النبيِّ ﷺ، بنتُ أمِّ المؤمنينَ خديجةَ بنتِ خويلدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

- جُويريَةٌ تدافعُ عن رسولِ الأمَّةِ:

حينَ يمتلئُ القلبُ حُبًّا وحنانًا نحوَ شخصٍ؛ فلن يتردَّدَ المُحِبُّ أن يَبذُلَ لمحبوبِهِ كلَّ ما يملِكُ، ويدافعَ عنه بكلِّ ما يملِكُ. فكيفَ إذا كانَ المحبوبُ أبًا ورسولًا!

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ:

فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ... الحديث[1].

- زَوَّجْتُكَ خيرَ أهلي.

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُحبُّ عليًّا ويقرِّبه، فهو ابنُ عمِّهِ. وكانَ عليٌّ قد تربَّى في حِجْرِ النبيِّ ﷺ قبلَ الإسلامِ، ولم يَزَلْ عليٌّ معَ النبيِّ ﷺ حتى بعثهُ اللهُ نبيًّا، فكانَ أولَ من آمنَ به من الصِّبيانِ.

ولقد زَوَّجَهُ النبيُّ ﷺ مِنْ أَحَبِّ بناتِهِ إليه؛ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومعَ كلِّ ما لِعليٍّ من المكانَةِ؛ لم يُزَوِّجْهُ رسولُ اللهِ ﷺ من فاطمةَ إلّا بعدَ مُشاورتِها.

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٥٤) ومسلم رقم (١٧٩٤)، وهذا لفظ مسلم.

عنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: "لَمَّا خَطَبَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ أَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "إِنَّ عَلِيًّا قَدْ ذَكَرَكِ. فَسَكَتَتْ، فَخَرَجَ فَزَوَّجَهَا "[1].

فَزَوَّجَ رسولُ اللهِ ﷺ أَحَبَّ بناتِهِ خيرَ أهلِه.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ دَعَا بِمَاءٍ فَمَجَّهُ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ مَعَهُ فَرَشَّهُ فِي جَيْبِهِ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَعَوَّذَهُ بِـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ثُمَّ دَعَا فَاطِمَةَ فَقَامَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ فَقَالَ: لَمْ آلُ أَنْ أُزَوِّجَكِ خَيْرَ أَهْلِي[2].

- دِرْعٌ، ووِسادةٌ، وَرَحَيانِ، وسِقاءٌ، وجَرَّتانِ!

حينَ تهبطُ المعاييرُ يظنُّ الإنسانُ أنَّ قَدْرَهُ بِقَدْرِ ما يملكُ من حُطامِ الدُّنيا وإنْ فارقَ صالحَ العملِ. ويكونُ الجهلُ ثقافةَ

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٠) وهو مرسل صحيح الإسناد.

(٢) فضائل فاطمة لابن شاهين (ص: ٤١)، وقال محققه أبو إسحاق الحويني: وجملة القول: إنَّ الحديثَ حسنٌ بجملة طرقه.

مجتمعٍ حينَ يتعاملُ الناسُ بهذا الميزانِ المنكوسِ، وتكونُ الصورةُ أبشعَ حينَ يظنُّ أنَّ مِيزانَ الآخرةِ بمثلِ ذلكَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ [سبأ].

وفاطمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هيَ سيِّدةُ أهلِ الجَنَّةِ، وبنتُ سَيِّدِ وَلَدِ آدمَ؛ بنتُ رسولِ اللهِ محمدٍ ﷺ.

وكان مَهْرُها وجَهَازُها دِرْعًا، وَوِسادَةً، وَرَحَيَيْنِ، وَسِقاءً، وَجَرَّتَينِ.

عنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: تَزَوَّجْتُ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، اِبْنِ بي. قَالَ: «أعطِهَا شيئًا» قُلتُ: ما عِندي مِنْ شَيءٍ، قَالَ: «فَأَينَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّة»؟[1].

---

(١) الحطمية مَنْسُوبَةٌ إِلَى بطْن مِنْ عَبْد القَيس يُقَالُ لَهُمْ حُطَمَة بْنُ مُحَارِبٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ الدُّرُوعَ. وقيل: هِيَ الَّتِي تَحْطِمُ السُّيُوفَ: أَيْ تَكْسِرُهَا النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٩٩٤).

قلتُ: هيَ عندي. قَالَ: «فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ».

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ مَعَهُ بِخَمِيلَةٍ، وَوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَرَحَيَيْنِ، وَسِقَاءٍ، وَجَرَّتَيْنِ "[1].

- مَرْحَبًا بِابنتي.

ما أحناها من كَلِمَةٍ! وما أجملَها من عِبارةٍ!

بهذهِ الكَلِمَةِ يستقبِلُ رسولُ اللهِ ﷺ -وهوَ سيِّدُ البشريَّةِ- ابنتَهُ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وهيَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ سَمْتًا ودَلًّا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ... الحديث[2].

---

(١) رواه أحمد (٢/١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٠١).

(٢) رواه البخاري (٣٦٢٣) ومسلم (٢٤٥).

- في بَيتِ النُّبُوَّةِ نِصفُ سَيِّداتِ أهلِ الجَنَّةِ:

نَعَمْ! في بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ ومِنْ بيتِ رسولِ اللهِ محمدٍ ﷺ نِصْفُ سَيِّداتِ أهلِ الجَنَّةِ!

قَالَتْ عَائِشَةُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُبَشِّرُكِ؛ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ»(١).

- ضِحْكَةٌ لقُرْبِ الأَجَلِ:

حينَ يكونُ الإعلامُ بِدُنُوِّ الأَجَلِ يُقَرِّبُكِ من رسولِ اللهِ ﷺ ولا يجعلُكِ تشعُرينَ بطولِ فِراقِهِ؛ عندها تكونُ هذه بشارةٌ تُفْرِحُ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم (١٣٣٦)، والحاكم في المستدرك (٣/١٨٥)، وسنده صحيح.

هذا ما أظهرتْهُ بِنتُ رسولِ اللهِ ﷺ فاطمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهيَ تسمعُ هذا الخبرَ من أبيها ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّها قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ. ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ»[1].

(١) رواه البخاري (٣٦٢٥) ومسلم (٢٤٥).

الخاتمة

معَ الخالدات:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا»؟ قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ.

فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»!![1].

موقفُ المسلمةِ من نِسَاءِ الرِّسَالاتِ:

نُحِبُّهنَّ، ونقتدي بهنَّ، ونسعى بأخلاقنا نحوهنَّ، علَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يحشُرَنا معهنَّ في أعلى الجَنَّةِ. آمين.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

من سِماتِ نساءِ الرِّسالاتِ:

١. الإيمانُ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢. الاستسلامُ للهِ سُبْحَانَهُ.

٣. مُعاداةُ إبليسَ وجنودِه.

٤. الحياءُ.

٥. السِّتْر والحجابُ.

٦. العفافُ.

٧. التوبةُ.

٨. إصلاحُ مظاهِرِ الخطأِ.

٩. طاعةُ الزَّوْجِ.

١٠. مراقبةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

١١. اللجوءُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عندَ الأزْمَةِ.

١٢. الأُمومةُ الحانِيَةُ.

١٣. الوفاءُ للزَّوجِ.

١٤. تربيةُ الأولادِ.

١٥. مشروعي في الحياةِ أُسرةٌ مُستقِرَّة.

١٦. الصبرُ عندَ الأزْمَةِ.

١٧. بِرُّ الوالدين.

١٨. العملُ الشَّريفُ أولى مِن مَدِّ اليَدِ إلى الآخرينَ.

١٩. الحديثُ معَ غيرِ المَحْرمِ على قدْرِ الحاجةِ.

٢٠. صيانةُ الألسُنِ عن أعراضِ العفيفاتِ.

٢١. اختيارُ الزَّوْجِ الصَّالح.

٢٢. الغَيْرَةُ على دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٣. المرأةُ مصدرُ سرورٍ لزوجِها.

٢٤. المرأةُ عونٌ للزَّوْجِ في أمرِ دينِه.

٢٥. المبادرةُ إلى فعلِ الخيراتِ.

٢٦. احترامُ الزَّوْجِ.

٢٧. البعدُ عن مواطِنِ الرِّيبَة.